المبحث الخامس

الصـــــراط

الصراط لـغةً: قال الشيخ الأمين رحمه الله: «الصراط في لغة العرب: الطريق الواضح والمستقيم الذي لا اعوجاج فيه، ومنه قول جرير:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم[1].

وأما شرعاً: فهو جسر منصوب على متن جهنم، يمرّ عليه الناس إلى الجنة، فمنهم من يمرّ كالطرف، ومنهم كالريح، ومنهم من يمرّ كشدّ الرجل؛ يرمل رملاً، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمرّ الذي نوره على إبهام قدمه، ومنهم من يخطف فيلقى في النار؛ فمن يمرّ على الصراط دخل الجنة[2].

وقد ورد في ذكر الصراط أحاديث منها: قوله صلى الله عليه وسلم: «... ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها. ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل.

ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم. وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان، هل رأيتم السعدان؟ قالوا: نعم يارسول الله. قال: فإنها مثل شوك السعدان، غير أنه لايعلم ما قدر عظمها إلا الله عزّ وجل، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بقي بعمله، أو الموثق بعمله، ومنهم المخردل أو المجازى أو نحوه»[3].

---

(١) أضواء البيان ٧/ ٢٠٣. وانظر: لسان العرب ٧/ ٣١٣. والمفردات للراغب الأصفهاني ص٢٨٠.

(٢) انظر شرح الطحاوية ص٤٦٩-٤٧٠. وفتاوى شيخ الإسلام ٣/ ١٤٦-١٤٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٨/ ١٧٩. وانظر صحيح مسلم ١/ ١٦٣.

والمرور على الصراط هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾[1].

وقد اختلف العلماء في المراد بالورود في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ إلى أقوال كثيرة، ذكر الشيخ الأمين رحمه الله أربعة منها؛ فقال:

« **الأول**: أن المراد بالورود: الدخول ولكنّ الله يصرف أذاها عن عباده المتقين عند ذلك الدخول.

الثاني: أن المراد بورود النار المذكور: الجواز على الصراط؛ لأنه جسر منصوب على متن جهنم.

الثالث: أن الورود المذكور: هو الإشراف عليها والقرب منها.

الرابع: أن حظّ المؤمنين من ذلك هو حرّ الحمى في دار الدنيا[2].

ثمّ استدلّ للقول الأول «أنّ ورود النار جاء في القرآن في آيات متعددة، والمراد في كلّ واحد منها: الدخول. فاستدلّ بذلك ابن عباس على أنّ الورود في الآية التي فيها النزاع هو الدخول؛ لدلالة الآيات الأخرى على ذلك؛ كقوله تعالى: ﴿يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود﴾[3]؛ قال: فهذا ورود دخول. وكقوله: ﴿لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكلّ فيها خالدون﴾[4]؛ فهو ورود دخول أيضا. وكقوله: ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿إنكم وما تعبدون

---

(١) سورة مريم، الآية ﴿٧١﴾.

(٢) أضواء البيان ٤/ ٣٤٨. وانظر روح المعاني ١٦/ ١٢١-١٢٢.

وقد ذكر هذه الأقوال: القرطبي، وزادها قولاً خامساً: إنّ الورود النظر إليها في القبر: فينجي منها الفائز، ويصلاها من قدر عليه دخولها. (الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٩٢).

وذكر ابن رجب الأقوال الأربعة السابقة، إلا أنه ذكر بدل الإشراف عليها والقرب منها أن الورود خاصّ بالمحضرين حول جهنم. (انظر التخويف من النار ص٢٠٠).

(٣) سورة هود. الآية [٩٨]

(٤) سورة الأنبياء، الآية [٩٩].

(٥) سورة مريم، الآية [٨٦].

من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾[1]. وبهذا استدلّ ابن عباس على نافع بن الأزرق[2] في أنّ الورود: الدخول»[3].

ثمّ قال رحمه الله: «واحتج من قال بأنّ الورود: الإشراف والمقاربة، بقوله تعالى: ﴿ولما ورد ماء مدين﴾ الآية[4]، قال: فهذا ورود مقاربة وإشراف عليه. وكذا قوله تعالى: ﴿فأرسلوا واردهم﴾ الآية[5]. ونظيره من كلام العرب: قول زهير بن أبي سلمى في معلقته:

فلما وردن الماء زرقاً جمامه وضعن عصيّ الحاضر المتخيم[6]

قالوا: والعرب تقول: وردت القافلة البلد، وإن لم تدخله، ولكن قربت منه. واحتجّ من قال بأنّ الورود في الآية التي نحن بصددها، ليس نفس الدخول، بقوله تعالى: ﴿إنّ الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون* لايسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون﴾[7]، قالوا: إبعادهم عنها المذكور في هذه الآية يدلّ على عدم دخولهم فيها، فالورود غير الدخول.

واحتجّ من قال بأنّ ورود النار في الآية بالنسبة للمؤمنين: حرّ الحمى في دار الدنيا بحديث: «الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء»[8]، وهو حديث

---

(١) سورة الأنبياء، الآية [٩٨].

(٢) هو نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي البكري الوائلي الحروري.
رأس الأزارقة وإليه نسبتهم. كان أمير قومه وفقيههم. من أهل البصرة. قتل في الأهواز يوم دولاب سنة (٦٥هـ).
(انظر: الأعلام ٧/ ٣٥١-٣٥٢).

(٣) أضواء البيان ٤/ ٣٤٩.

(٤) سورة القصص، الآية [٢٣].

(٥) سورة يوسف، الآية [١٩].

(٦) انظر شرح المعلقات العشر ص٥٨.

(٧) سورة الأنبياء، الآيتان [١٠١-١٠٢].

(٨) أخرجه البخاري ٤/ ٨٩-٩٠، ومسلم ٤/ ١٧٣١-١٧٣٢: من حديث ابن عباس، وعائشة، وابن عمر. والبخاري ٤/ ٨٩-٩٠، ومسلم ٤/ ١٧٣٣: من حديث رافع بن خديج بلفظ: «الحمى من فور جهنم فأبردوها عنكم بالماء». ومسلم ٤/ ١٧٣٣: من حديث أسماء.

متفق عليه من حديث عائشة وأسماء ابنتي أبي بكر، وابن عمر، ورافع بن خديج رضي الله عنهم.

رواه البخاري أيضاً مرفوعاً عن ابن عباس[1].

ثمّ نصر رحمه الله القول الأول؛ القائل بأنّ الورود بمعنى الدخول، واستدلّ على ذلك بأربعة أدلة؛ فقال:

الأول: ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما من أنّ جميع ما في القرآن من ورود النار؛ معناه دخولها، غير محلّ النزاع، فدلّ ذلك على أنّ محلّ النزاع كذلك، وخير ما يفسر به القرآن القرآن.

الدليل الثاني: هو أنّ في نفس الآية قرينة دالة على ذلك؛ وهي أنه تعالى لما خاطب جميع الناس بأنهم سيردون النار برهم وفاجرهم بقوله: ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا﴾[2]، بين مصيرهم ومآلهم بعد ذلك الورود المذكور بقوله: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها﴾[3] أي نترك الظالمين فيها دليل على أنّ ورودهم لها: دخولهم فيها، إذ لو لم يدخلوها لم يقل: ﴿ونذر الظالمين فيها﴾، بل يقول: وندخل الظالمين، وهذا واضح كما ترى. وكذلك قوله: ﴿ثمّ ننجي الذين اتقوا﴾دليل على أنهم وقعوا فيما من شأنه أنه هلكة، ولذا عطف على قوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ قوله: ﴿ثمّ ننجي الذين اتقوا﴾[4].

أما الدليل الثالث: فقد استدلّ رحمه الله بحديث جابر، قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «لايبقى برولافاجر إلا دخلها،

---

(١) أضواء البيان ٤/ ٣٤٩-٣٥٠

(٢) سورة مريم، الآية [٧١].

(٣) سورة مريم، الآية [٧٢].

(٤) أضواء البيان ٤/ ٣٥٠.

فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجاً من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا»[1].

ثم قال رحمه الله: «إن حديث جابر المذكور يعتضد بظاهر القرآن وبالآيات الأخر التي استدل بها ابن عباس»[2]

أما الدليل الرابع: فقد استدلّ رحمه الله بآثار جاءت عن علماء السلف رضي الله عنهم، كلهم يقولون: إنه ورود دخول[3]. وختم كلامه رحمه الله بالردّ على أدلة من منع الدخول؛ فقال رحمه الله: «وأجاب من قال بأنّ الورود في الآية: الدخول عن قوله تعالى: ﴿أولئك عنها مبعدون﴾[4]؛ بأنهم مبعدون عن عذابها وآلامها، فلا ينافي ذلك ورودهم إياها من غير شعورهم بألم ولا حرّ منها... وأجابوا عن الاستدلال بحديث «الحمى من فيح جهنم» بالقول بموجبه، قالوا: الحديث حقّ صحيح، ولكنه لادليل فيه لمحلّ النزاع؛ لأنّ السياق صريح في أنّ الكلام في النار في الآخرة، وليس في حرارة منها في الدنيا؛ لأنّ أول الكلام قوله تعالى: ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين ثمّ لنحضرنهم حول جهنم جثيا﴾ إلى أن قال: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾[5]؛ فدلّ على أنّ كلّ ذلك في الآخرة لا في الدنيا كما ترى[6].

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٣٢٩ باختلاف يسير. وقال الشيخ الأمين عن إسناده: «لايقل عن درجة الحسن» انظر أضواء البيان ٤/ ٣٥١).
قال الشيخ الألباني: (عن أبي سمية، عنه. وأبو سمية مجهول كما قال الذهبي. وقد صححه هو والحاكم، وفيه نظر ليس هذا موضع بيانه). (كلمة الإخلاص لابن رجب ص٤١، بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني).

(٢) أضواء البيان ٤/ ٣٥٢.

(٣) انظر أضواء البيان ٤/ ٣٥٢. وتفسير القرآن العظيم ٣/ ١٣٢-١٣٣.
وهذه الآثار عن خالد بن معدان، وعبدالله بن رواحة رضى الله عنه، وأبي ميسرة، وعبدالله بن المبارك، عن الحسن البصري؛ كلهم يقولون: إنه ورود دخول.

(٤) سورة الأنبياء، الآية [١٠١].

(٥) سورة مريم، الآيات [٦٨-٧٢].

(٦) أضواء البيان ٤/ ٣٥٢. وانظر هذا المبحث في دفع إيهام الاضطراب- الملحق بأضواء البيان ١٠/ ١٩٢-١٩٣.

وتفسير الورود اختلف فيه الصحابة، ومن بعدهم من العلماء[1].

والشيخ الأمين رحمه الله حين يرجح أنّ الورود بمعنى الدخول لم يأت بشيء مبتدع، بل قاله غيره من علماء التفسير؛ أمثال القرطبي[2] رحمه الله، وغيره. بل قد قال الألوسي: «ذهب إلى ذلك جمع كثير من سلف المفسرين وأهل السنة»[3].

وبالمقابل رجح بعض العلماء أنّ الورود: هو المرور على الصراط؛ ومن هؤلاء ابن أبي العز الحنفي رحمه الله، الذي قال: «اختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾[4] ماهو؟ والأظهر الأقوى أنه المرور على الصراط»[5].

وكذلك الحافظ ابن رجب رحمه الله الذي قال: "ومما يستدلّ به على أنّ الورود ليس هو الدخول: ما خرجه مسلم من حديث جابر قال: أخبرتني أم بشر أنها سمعت النبيّ -صلى الله عليه وسلم- يقول عند حفصة: «لايدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها». قالت: بلى يا رسول الله. فانتهرها. فقالت حفصة: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾[6] فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «قد قال الله عزّ وجلّ: ﴿ثمّ ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا﴾[7]» [8] [9].

---

(١) انظر التخويف من النار لابن رجب ص١٩٣. وأضواء البيان ٤/ ٣٥٢.
(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن ١١/ ٩٣.
(٣) انظر روح المعاني ١٦/ ١٢١.
(٤) سورة مريم، الاية [٧١].
(٥) شرح الطحاوية ص٤٧١.
(٦) سورة مريم، الآية [٧١]
(٧) سورة مريم، الآية [٧٢].
(٨) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٤٢.
(٩) التخويف من النار ص١٩٤.

وكذلك الإمام الشوكاني[1] رحمه الله قال: «وقد توقف كثير من العلماء عن تحقيق هذا الورود وحمله على ظاهره؛ لقوله تعالى: ﴿إنّ الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾[2]. . . . ولايخفى أنّ القول بأنّ الورود هو المرور على الصراط، أو الورود على جهنم وهي خامدة: فيه جمع بين الأدلة من الكتاب والسنة، فينبغي حمل هذه الآية على ذلك»[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما الورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾[4]: فقد فسره النبيّ -صلى الله عليه وسلم -في الحديث الصحيح: رواه مسلم في صحيحه عن جابر: بأنه المرور على الصراط[5]. والصراط هو الجسر، فلابد من المرور عليه لكلّ من يدخل الجنة؛ من كان صغيراً في الدنيا، ومن لم يكن»[6].

---

(١) تقدمت ترجمته.
(٢) سورة الأنبياء، الآية [١٠١].
(٣) فتح القدير ٣/ ٣٤٤.
(٤) سورة مريم، الآية [٧١].
(٥) أخرجه مسلم ٤/ ١٩٤٢. وقد تقدم قبل صفحة.
(٦) الفتاوى ٤/ ٢٧٩.